طرائق قدماء اللغويين العرب في التعريب اللفظي

Methods of Ancient Arabic Grammarians in Phonetics

أ. صديق ليلى
قسم اللغة العربية وآدابها -كلية الآداب والفنون-
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
Email : sadik_leila@yahoo.fr

ملخص

لقد رصد لنا قدماء اللّغويّين العرب ظاهرة التّعريب اللّفظي النّاتجة عن ظاهرة التّأثير والتّأثر بين اللغة العربية وغيرها من اللّغات القديمة كالفارسية والهندية والسّريانية والحبشية. . . الخ.

فدرسوا هذا النّوع من الألفاظ وأطلقوا عليه مصطلح» المعرّب» وهو يشكّل أهمّ الظواهر اللّغويّة المساعدة في التطوّر اللّغوي عبر تاريخ اللغة العربية بدءا من العصر الجاهلي وما تلاه من العصور اللاّحقة ، فقعدوا لهذه الظّاهرة اللّغوية كما نصوا على أهمّ الطّرائق والضّوابط في التّعريب اللّفظي ، كالطّريقة الصّوتية والصرفية والنّحوية. . . الخ.

الكلمات الدالة : التعريب اللفظي ، طرائق قدماء اللغويين

abstract

From the past, Old Arabic Grammarians found on some phenomena resulting from the influence of languages on each other. The core of their researches was what they named (the Arabization Process).

Those grammarians studied spicific features related to the growth and evolution of the Arabic language with reference to other languages such as Persian and Indian languages. These studies, in fact have contributed in existance of the major rules and necessary norms of Arabization process such as the lexical and syntactic rules.

Key words : Arabization process, old grammarians norms,

المقدمة:

تتجاوز ظاهرة التعريب عصرنا الحاضر إلى العصور السابقة. فمنذ العصر الجاهلي واللغة العربية تنطوي على ألفاظ غير عربية، كالتي وجدت في شعر الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية. كما أن القرآن الكريم يضم مجموعة من الألفاظ المعربة، وإن اختلف حول وجودها فيه بين العلماء القدامى. ولكن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن تلك الألفاظ وجدت حقا في القرآن الكريم ولا يخرجه ذلك عن كونه عربيا. كما وجدت ألفاظ معربة في الحديث النبوي الشريف، ولكنها مدعاة للشك لأنه روي بالمعنى.

ومن الممكن أن يكون المعرب أسلوبا وليس كلمة فحسب، وهذا ما نراه شائعا في كثير من الأشعار وخاصة في الشعر الأندلسي، والعباسي، والحديث. وكثيرا من هذه الأساليب المعربة مقبولة من الناحية اللغوية، لأنها تعد ترجمة مباشرة من اللغة الأجنبية إلى العربية على الرغم من اختلافها عن سائر اللغات الأخرى؛ إلا أنه تغيير على أساس التوسع المجازي في اللغة العربية. ويضاف إلى هذا أن كتب القدماء سجلت كثيرا من الألفاظ المعربة التي وقف على تعريبها عرب خلص وذلك في عصور الاحتجاج باللغة العربية التي حفلت بطائفة من تلك الألفاظ.

1 ـ **مفهوم التعريب اللفظي**:

نعني بالتعريب اللفظي، هو التعريب بالمعناه الاصطلاحي عند اللغويين، وهو أن تتفوه العرب بالكلمة الأعجمية على منهاجها.

وكل ما يمكن قوله إنه لم يكن للقدماء طريقة وحيدة ومحددة في تعريب الكلمات فلا يمكن أن نضع تعريب الجاهليين أو التعريب القرآني على سوية واحدة مع تعريب العباسيين، وذلك أن التعريب الأول كان تعريب الطبع والسليقة، قام به عرب خلص من قرون الاحتجاج.

ولهذا صعب على كثير من الباحثين تمييز المعرب من العربي فيه، لأن كلمات مثل (قلم وسجّيل ودرهم)، قد عربت بطريقة دمجتها في اللسان العربي دمجا يكاد يكون عضويا.

أما النوع الثاني وهو تعريب العصرين العباسي والمملوكي، فقد كان أقرب إلى التدخيل منه إلى التعريب؛ معنى أن مترجميه أخذوا اكلمة الأعجمية ألصقوها بجسم اللغة، فبدت غريبة نابية على شاكلة أرثماطيقي (علم العدد) وفيزيقي (الطبيعة) وأسطقس (العنصر)[1].

2 ـ **ضوابط القدماء في التعريب اللفظي**:

كما يمكن استنباط أهم الضوابط التي نهجها القدماء في تعريبهم للكلمات الأعجمية من خلال الطرائق اللغوية الآتية:

أ. الطريقة الصوتية:

لقد خص العرب القدماء الجانب النطقي من الدراسات الصوتية بعناية خاصة، فشبه «ابن جنّي»(ت.392هـ) جهاز النطق بالناي مقارنًا بين عملية النطق وما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي، وهو تصور دقيق لوظيفة الجهاز النطقي وطبيعته. ولعل ما حفزهم على ذلك هو حرصهم على معرفة أصول القراءات القرآنية وإتقان ترتيل كتاب الله العزيز وتجويد نطقه. وقد استفادوا من هذه المعرفة عندما واجهوا ظاهرة اللحن الصوتي في نطق الأعاجم للعربية[2].

كما استخدموا هذا الجانب من الدراسة في الكشف عن الكيفية التي يتم بها التلفظ بالأصوات الدخيلة في كلام العرب.

والجانب الصوتي هو أهم طريقة للتعريب، إذْ استخدمت هذه الكلمة بمعنى الإبدال الصوتي مثلما نرى ذلك واضحًا في قول أبي عبيد القاسم بن سلام (ت.224هـ) في الغريب المصنّف حين قال: «العرب يعرّبون الشين سينًا يقولون: نيسابور، وهي نيشابور، وكذلك الدَّشْتُ❖ يقولون دَسْت فيبدلونها سينًا»[3]. فالواقع أن تردُّد السين في الموقع الثاني في الجذور الثلاثية أكبر من تردُّد الشين في الموقع نفسه، إذْ إنّ النسبة المئوية لتردُّد السين هي (3.478 %) والشين هي (1.739 %)[4] ويرى في هذا المضمار بعض القدماء أنّ السين في العربية هي الشين في العبرية، وهو نوع من التقارب والتوافق بين اللّغات من حيث الأصوات اللغوية، فقال نصر بن محمد بن أبي الفنون النحوي في كتاب أوزان الثلاثي: «سين العربية شين في العبرية، فالسلام شلام، واللسان لشان، والاسم اِشم «[5].

ومما غيّره العرب عن طريق الإبدال «أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم كلّها أعجمية، نحو «إبراهيم» وإسحاق وإلياس، إلاّ أربعة أسماء، وهي: «آدم» و«صالح» و«شعيب» و«محمّد»[6] كما اشترط القدماء «الاستعمال» لهذه الكلمات الأعجمية، قال الجواليقي: «اِعلم أنّهم كثيرًا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا. وربما أبدلوا ما بَعُدَ مُخْرجُه أيضًا»[7].

ومن الحروف الأعجمية التي ليست من حروفهم، فيحوّلونّها إلى حروف أقرب من مخارجها كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل «بور» المحوّل إلى «فور»❖.

وقد حدّد القدامى الحروف التي يكون فيها البدل في المعرّب، فذكروا عشرة: «خمسة يُطَّردُ إبدالها وهي: الكاف، والجيم، والقاف، والباء، والفاء؛ وخمسة لا يُطَّردُ إبدالُها وهي: السين، والشين، والعين، واللام والزاي. فالبدلُ المطَّردُ: هو في كلّ حرفٍ ليس من حروفهم كقولهم: كُرْبَج الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم؛ فأبدلوا فيه الكاف أو القاف، نحو قُرْبَق❖❖ أو الجيم نحو جَوْرَبَ، وكذلك فَرِنْد❖❖❖ هو بين الباء والفاء فمرّة تبدل منها الباء ومرة تُبدل منها الفاء.

وأمّا ما لا يطّرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم إسماعيل أبدلوا السين من الشين. لأنّ الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا، والعين من الهمزة، لأنّها أشبه الحروف بالهمزة، وأصله إشمائيل، وكذلك قَفْشَلِيل وهي (المغرفة)، فأبدلوا الشين من الجيم واللام من الزاي، والأصل قَفْجليز»[8] وفي هذه الكلمة قال الجواليقي:» وأصلها كَفْجَلاَزُ، وَجَعَلُوا الكاف منها قافًا، والجيم شينًا، والفتحة كسرةً، والألفَ ياءً[9]. «ومما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا «إبْرَيْسَم» وإسْرَافِيل» و» فيروز» و«قهرمان» وأصله «قرمان»[10].

ومن التغيير الذي يطرأ على الكلمة الأعجمية أثناءَ تعريبها وإبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن لنقول سيبويه: «وَمِثْل ذلك تغييرهم الحركة التي في زَوْرْ، وآشُوبْ: فيقولون: زُورُ، وَأَشُوبُ، وهو التخليط؛ لأنّ هذا ليس من كلامهم»[11]. ويقول المجمعي طاهر الجزائري مفسرًا ما قاله سيبويه: «وممّا وقع فيه إبدال حركة بحركة (زوْر) بالضّم- بمعنى القوة-فإنّه معرّب من (زوْرْ) بضمة مشوبة بالفتحة، فأبدلت هذه الضمة المشوبة بضَمَّة خالصة، وهذا الإبدال لازمٌ لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية. ومثلهًا كلمة آشُوب»[12].

والملاحظ أن بعض الكلمات الأعجمية كانت تنتهي بالهاء أو الياء بحسب قواعد لغتهم، ولما كان هذان الحرفان مما يثقل

ظهور الحركة الإعرابية-المميّزة للغة العربية-عليهما، فقد أبدل بهما حرف مجهور كالجيم والقاف. يقول المجمعي طاهر الجزائري:» فلو قال قائل: إنّ الجيم هنا أو القاف حرف قد زيد في آخر ما فيه الهاء الرسمية لتهيئة الكلمة لقبول الإعراب الظاهر لم يكن مبعدًا، فإنّ للإعراب الظاهر شأنًا عظيما عند العرب، فتكون زيادة الجيم فيه مثل زيادتها في (الكَنْدُوج) وهو الخليَّة والخزانة، فإنه معرّب (كَنْدُو)، فزيدت فيه الجيم لتهيئة الكلمة للإعراب الظاهر«[13].

فأحسن كلام العرب ما بني من الحروف المتباعدة المخارج، وأخف الحروف حروف الذلاقة. يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ): «اِعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر، ل،ن،ف،ب،م وإنّما سميت هذه الحروف ذلق لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية: (ر، ل، ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف، ب،م مخرجها ما بين الشفتين خاصة. فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست في كلام العرب، لأنك لست واحدًا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلاّ وفيها من الحروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»[14].

فمعرفة القدماء للقواعد الصوتية التي تبنى عليها الكلمة الفصيحة مكنّهم من تمييزهم الكلمة الأصيلة من الكلمة الدخيلة، قال الخليل بن أحمد: «ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناءٍ إلاّ حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسًا»[15]. فهناك أصوات لا يمكنها أنْ تجتمع في كلمة عربية فصيحة، وإذا وجدت تلك الأصوات الكلمة معرّبة أو حكاية صوت نحو: الجردقة للرغيف وجوسق وجلق وجوالق للوعاء وجلنبلق صوت الباب[16].

وقد حدّد النحاة القدماء الوجوه التي يعرف بها الاسم المعرّب، فقال الجواليقي في باب ما يعْرَف من المعرّب بائتلاف الحروف»: لم تجمع الجيم والقاف في كلمة عربية. فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنّها معرّبة، من ذلك «جَلَوْبَقُ»، و«جَرَنْدَق»، و«الجَوْقُ»، و«القَبَجُ»... ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية. من ذلك «الجِصُّ»، و«الصَّنْجَة» و«الصَّوْلَجَانُ» ونحو ذلك. وليس في أصول البنية العرب اِسم فيه نون بعدها راء. فإذا مرّ بك ذلك فاعلم أنّ ذلك الاسم معرّب، نحو «نَّرْجس» و«نَوْرج» و«نَرجَة». وليس في كلامهم زاي بعد دال إلاّ دخيل. من ذلك «الهنداز» و «المُهَنْدِزُ» وأبدلوا الزّاي سينًا، فَقَالوا «المهندس». ولم يَحْكِ من الثقات كلمة عربية مبنية من باءٍ وسين وتاء. فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيلٌ.»كما أضاف ابن سيدهِ (ت.458هـ) في المحكم أنّه «ليس في كلام العرب شينٌ بعد لامفي كلمة عربية مَحْضَة. الشَينات كلّها في كلام العرب قبل اللامات»[17].

والملاحظ أن هذهِ القواعد والأحكام اِستنبطها القدماء من معرّبات العصر الجاهلي والإسلامي الأول التي أعطتنا كلمات مثل (إبريق وسندس وكوز وجَرَّة) من الفارسية والفُلْفُل وشَطْرَنْج وصَنْدَل) من الهنديّة لا من معرّبات العصرين العباسي والمملوكي التي أعطتّنا مثل (بوطيقي) للشعر، و(ريطوربقي) للخطابة، و(قاطيغوري) للمقولات و(حَكَمْدز) لمنصب إداري[18].

وفي العصر العباسي اِزداد الاحتكاك الثقافي باللغتين الإغريقية واللاتينية، واِزدادت نسبة المعرّبات منها، وكان على المعرّبين مواجهة حروف هاتين اللغتين وأصواتهما. وكما وَجَدْنَا المعرّبين من اللُغة الفارسية ينقلون الحرف الواحد إلى العربية بأكثر من حرف، كذلك رأينا عند المعرّبين عن تينك اللّغتين مثل هذا التعدّد، إذْ نقل الحرف اللاتيني © إلى الأحرف العربية: (ق،ك،ج،س،ح،ف،ش)؛ ونقل الحرف اللاتيني (Y) إلى تسعة أحرف[19]، ومع ذلك فثمة حالة غالبةٌ لنقل كلِّ حرف عند القدماء وهي كالآتي:

J = ج، P = ب، V = ب، C = ق، K = ك، Q = ق، T = ط، W = و، X = ش، H = ء، Z = ز[20].

أمّا لماذا لم يَطَّردْ إبدال الحروف ويجري على قاعدة ثابتة، فلذلك أسباب عدّة منها تعدّد اللّغات التي أخذت منها العربية وتباين خصائصها وطبائع أصواتها، ومنها التطور الصوتي الذي يطرأ على اللّغات، ومنها التعريب عن لغة ثالثة وبسيطة، « ومنها أمْنُ اللَّبْس، فلو قالوا مثلاً (بادية) لِوعاءِ، وهذا لفظه بحروفِهِ ذاتها في الفارسية، وهي في غير حاجة للإبدال، لالتبست (ببادية) أي الصحراء بالعربية، وربما من أجل هذا عدلوا عن حروفها إلى (باطِيَة)»[21].

ومهما يكن من أمر، فإنّ أهم أغراض الإبدال في الكلمة المعربة هو تجنّب إدخال حرف أعجمي إلى حروف العربية، وكذلك الابتعاد عن التنافر الذي يمكن أن يقع بين حروف الكلمة المعرّبة، بحيث يصعب نطقها بالعربية، وتحقيق أكبر قدر من التآلف والتَّوافُق بين أصواتها[22].

كما أنّ معظم المحدثين لم يخرجوا عن هذه القواعد التي وضعها القدماء ولم يزيدوا عليها، بل اِكتفوا بما وضعه سلفهم. وقد حاول بعضهم، وضع قواعد جديدة للمعرّب الصوتي نظرًا لاختلاف الوضع الحالي لهذا العصر عن القديم، لأنّ مجال العلوم شهد وفودًا كبيرًا لبعض المصطلحات العلمية الأجنبية دعت إليها ضرورة النهوض باللغة. ويعدّ أمين معلوف❖ أول المحدثين الذين اِهتموا بقضية المعرّب الصوتي في العصر الحديث اِهتمامًا علميًا بعد المحاولات السابقة، فقد اِعتنى اعتناءً نظريًا وتطبيقيا في الوقت نفسه بمسألة نقل الأصوات

الأعجمية إلى العربية، بعدما أثار اهتمامه ما يقع فيه النقلة العرب المعاصرون من الخلط والاضطراب، لأنّ معظم المعرّبين في العصر الحاضر وفي أيامنا هذهِ ينقلون عن الإنجليزية أو الفرنسية فيكتمون الأسماء كما تلفظ في إحدى هاتين اللغتين. وقد وضع معلوف أصولاً يعتمد عليها في تعريب الألفاظ الأعجمية في إحدى عشرة قاعدة معتمدًا فيها على القواعد التي جرى عليها العرب في القديم[23] في نقل هذه الكلمات وتمثل القاعدة السابعة في حرف «H» نموذجًا للقواعد التي سار عليها وهو ما عبر عنه بقوله: «وكان كتاب العرب يعبّرون عنها بالهاء غالبًا مثل «هوميروس» «HOMERUS» على أنّ كتّاب العرب لم يعبّروا عن ذلك دائمًا، فقالوا أوميروس وهوميروس»[24].

بـ الطريقة الصرفية النحوية:

لم يشترط سيبويه الوزن العربي في الكلمة المعرّبة حين قال في باب ما أعرب من الأعجمية: « واعلم أنّهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوهُ ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه، فأمّا ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهَم ألحقوه بهِجْرَع، وبَهْرَج ألحقوه بسَلْهَب، ودينار ألحقوه بديماس...وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار، ويَعْقُوب فألحقوهُ بيَرْبوع، وجَوْرَبُ فألحقوه بفَوْعَل. وقالوا آجُور فألحقوهُ بعاقول، وقالوا شبارق فألحقوه بعُذافِر. لما أرادوا أنْ يُعْربوه ألحقوه ببناءِ كلامهم كما يُلحِقون الحروف بالحروف العربية... وما لا يَبْلغون به بناءهم وذلك نحو آجر أو إبْرَيْسَم وإسماعيل وسَراويل ونَيْروز... وربّما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن، نحو خُراسان وخُرَّم والكركم»[25].

وهذا نصٌ صَريحٌ على أن البناء ليس شرحًا في التعريب اللّفظي، عند معظم القدماء، ومع ذلك فبعضهم يشترط الوزن العربي كالفرّاء والجوهري والحريري. يقول الفرّاء «يُبْنَى الاسم الفارسي أي بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب»[26]. ويرى بعض القدماء في تعريب الكلمة الأعجمية استعمال القياس، إذْ عدّ ابن جنّي ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب مشيرًا إلى أنّ ما أعرب من أجناس الأعجمي فقد أجرته العرب مجرى كلامها. ويقول أبو علي الفارسي (ت.377هـ). «ويؤكد ذلك إنّ العرب اشتقت من الأعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها، قال رؤبة:

هَلْ يُنْجِيِنّي حلف سِخْتيت
أو فضة أو ذهب كبريت

قال: فسختيت من السَخْت❖، كزحليل من الزحل «[27]ويحكى عن أعرابي قال:» يقال دَرْهَمْتَ الخُبَّازَى، أي صارت كالدراهم، فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجميّ، وحكى أبو زيد: رجل مُدَرْهَم. قال ولم يقولوا منه: دُرْهِمْ»[28].

وقد وضع اللّغويون القدماء بعض القواعد في الصرف لضبط أوزان بعض الكلمات المعرّبة، فقال سيبويه في باب ما كان من الأعجمية على أربعة أحرف:» وقد أعْربَ فكسّرته على مثال مَفَاعِل...زعم الخليل أنّهم يلحقون جمعه الهاءَ إلاّ قليلاً. وكذلك وجدوا أكثره فيما زعم الخليل. وذلك: مَوْزَجُ ومَوَازِجَةُ، وصَوْلَجُ وصَوَالجةُ، وكُرْبَجُ وكَرَابجةُ، وطيْلَسَانٌ وطيالِسَةُ، وَجَوْرَبُ وجَوارِبَةُ. وقد قالوا: جواريد وكَيَالجُ، جعلوها كالصّوامع والكواكب. وقد ادخلوا الهاء أيضًا فقالوا كَيَالجَةُ.» فجمع التكسير لهذه الكلمات كان قياسًا على بعض الكلمات العربية، وقال أيضًا.» ونظيره في العربيّة صَيْقَلُ وصَيَاقِلَةُ، وصَيْرَفُ وصَيَارِفَةُ، وقَشْعَمُ وقَشَاعِمَةُ، فقد جاء إذا أُعرِب كمَلَكِ ومَلاَئِكَةٍ»[29].

وقصد أبو حيان النحوي الأندلس في الأوزان المعرّبة بقوله: «الأسماء الأعجميّة على ثلاثة أقسام: قسم غيّرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن، حكم أبنيته الأسماء العربية الوَضْع؛ نحو درهم وبَهْرَج. وقسم غيّرته ولم تلحقه بأبنية كَلاَمها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قَبْلَه، نحو آحر وسفْسير. وقسم تركوهُ غير مُغَيّر؛ فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعدّ منها، مثال الأول: خراسان، لا يثبت به فعالان، ومثال الثاني: خُرّم ألحق بسُلم، وكُرْكُم ألحق بقمْقُم»[30].

ومن التغيير الذي يلحق بالكلمة المعرّبة زيادة حروف أو إنقاصها نحو الدِّرْهَمَ أصله (دِرَم)، فغير بزيادة الهاء إلحاقًا له بصيغة فِعْلَلْ[31]. ومما أنقصوا منه (سابور) وهو اسم ملك، وأصله (شاه بور)[32]. بحذف الهاء و(الباري) قال ابن قتيبة: «البورياء بالفارسية، وهي بالعربية بَارِيُ وبوريُّ[33]. وهي الحصير المنسوج. ومثل هذا التغيير وقع في المعرّبات اليونانية كذلك، إذْ عُربت (أوقيانوس) إلى قاموس و(ياكنثوس) إلى ياقوت[34]. بحذف كثير وتبديل وعُرّبت (GREC) إلى (إغريق) بزيادة فيها.

ولكن هناك كلمات معرّبة لا يمكن معرفة التغيرات إلى أجريت أثناء تعريبها، لأنّها انتقلت إلى العربية بواسطة لغة أخرى وبناؤها الأصلي مجهول لدى الدارسين.

وفي بعض الأحيان اكتفى القدماء بتعريب جزءٍ من تلك الكلمات الأعجميّة، وهذا ما نجده في كلمة (ناي) للآلة الموسيقية المعروفة. قال شهاب الدين الخفاجي» وأصله بالفارسية ناي نرمين ثم عرّب في الشعر القديم، وكَثُرَ استعماله في كلامهم ومنهم من أبدل يَاءَهُ هَمْزَةَ كابن المعتز في قوله:

أَيْنَ التورع من قلب يهيم إلى ساق بهيج وحسن العود والنائي؟

وعربيته زمخر وإسمه القصب وصاحبه قاصب وقصاب، جمعه نايات»[35]. ومن ذلك (النّشا) للمادة الغذائية المألوفة وأصلها في الأعجمية (نَشَا سْتَه)، قال الجواليقي: «وهو النَشَاسْتَجُ: فارسي معرّب حذف شطْرُه تخفيفًا، كما قالوا للمنازل (منا)»[36].

على أنّ شهاب الدين الخفاجي يرى «أنّ المعرّب إذا كان مركبا أبقي على حاله لأنّه سماعي فلا يجوز استعمال أحد أجزائه كشهنشاه»[37].

ويتم التعريب أيضًا من كلمتين أعجميتين بكلمة واحدة كـ(السّجّيل) وهي من الألفاظ القرآنية وأصلها بالفارسية «(سَنْكْ) و(كِلْ)، أي: حجارة وطين»[38] ومن هذا القبيل كلمة (جاموس) المعرّب عن (كاومش) وهي كلمة مركبة في الأصل من (كاو) بمعنى بقرة و(ميش) بمعنى مختلط أو مختلطة.[39] ومنه كلمة (مَجَوسُ) المعرّبة من كلمتين (مُنج) و(كوش) وهي اسم علم أعجمي لرجل وضع دينًا ودعا إليه، وهذه الكلمة وردت في القرآن الكريم❖[40].

وللعربية قواعد صوتية متعلقة بالنطق، بحيث لا تجيز البدْءَ بساكن أو إلتقاءَ ساكنين إلاّ بشروط خاصة.

وللتخلّص من التقاء الساكنين في كلمة (كَمَانْ كَرْ) الفارسية المركبة عرّبوها إلى (قَمَنْجَر، قال الجواليقي:» يقال للقَوَّاس القَمَنْجَرُ والمُقَمْجِرُ، وهو معرّب أيضًا أصله بالفارسية كَمَانْ كَرْ»[41] فبحذف الألف قبل النون الساكنة-كما هو واضح-أدّى هذا التغيير إلى إدخال الكلمة الأعجمية في إطار إيقاع عربي هو (فَعَلَّل) الذي لا تنفره الأذنُ العربية.

ومن مراعاة القواعد الصوتية والصرفية إلتزم القدماء عدد الأحرف القصوى في الكلمة العربية، بحيث لا تزيد على سبعة أحرف، وذلك أنّ اللّغة العربية تأبى أن تشتمل الكلمة على أكثر من سبعة أحرف إذا كانت اسمًا، وعلى أكثر من ستّة إذا كانت فعلاً. نجد في معرّبات عصر الاحتجاج كلمة تزيد حروفها على هذا العدد، وما ذلك إلاّ لِنُفُورِ طبع العربي عمّا ألفه واعتادَهُ.[42]

كما يعرّب الاسم الأعجمي إذا لحقته الألف واللام لقول سيبويه:» اِعْلَمْ أنّ كُلّ اِسم أعجمي أعْربَ وتمكَّنَ في الكَلاَمِ فدخلته الألف واللام وصارَ نكرة، فإنّكَ إذا سمّيت به رَجُلاً صَرَفْتَهُ، إلاّ أنْ يمنعه من الصرفِ ما يصنع العربيّ. وذلك نحو: اللّجام، والدّيباج، واليَرَنْدج، والنّيْرُوز، والفرند، والنرنجبيل، والأَرَنْدَج، والياسمين»[43]. وما كان معرفة في لغة الأعاجم أشباه إبراهيم، وإسماعيلُ وإسحاق، ويعقوبُ، وفيروزُ، وهُرْمُزُ، وقارونُ، وفرعونُ، فإنّهم لم يلحقوا بها الألف واللام.

وهناك من أسماء الأعلام تعرّف على عجمة أصلها لقول سيبويه:» أما صالح فعربي، وكذلك شعيب وأما نوح وهود ولوط، فتنصرف على كلّ حال لخفتها»[44].

كما قد يدخل الاسم الأعجمي إلى كلام العرب لمجرد إظهار الحركة الإعرابية على آخره. ويرى بعض القدماء أنّ ذلك ارتجالاً في اللّغة، بينما يراه ابن جنّي قياسًا على كلامهم قائلا:» أَلاَ ترى أَنَّكَ تقول: طَابَ الخُنْشُكَانُ فتجعله من كلام العرب، وإن لم تكن العَرَبُ تكلّمت بهِ. هكذا قال؛ فبرفعك إيّاه كرفعها ما صار لذلك محمولاً على كلامها، ومنسوبًا إلى لغتها»[45].

ومما نستخلصه من هذا كله أن المعرّب اللفظي يعامل معاملة عربية من حيث الاشتقاق والتثنية والجمع والتصغير ويذكر ويؤنث، ويضاف ويضاف إليه، قال سيبويه: «وقالوا: البرابرة والسَّيَابِجة، فاجتمع فيها الأعجمية وأنها من الإضافة، إنما يعني البربريين والسَّيْبَجِيّين، كما أردت بالمسامعة المِسْمَعِيّين»[46]. كما عدوه عربيا بعد تعريبه، فقالوا في زنديق زندقة وتزندق، واشتقوا من فيلسوف فلسفة وتفلسفا. وينبغي لهذا المعرب ألا يخالف شروط الفصاحة التي وضعها علماء العربية وهي خلوص اللفظ المعرب من تنافر الحروف ومن الغرابة، ومخالفة القياس، والكراهة في السمع.

وأغلب المحدثين لم يعارضوا القدماء في القواعد التي وضعوها في اللفظ المعرب وفي اعتبار أنه لا يخلو من أن يكون فصيحا غير أن بعضهم مثل حسن ظاظا يرى أن اللفظ المعرب قد لا يتلاشى اصله بالتغيرات أو في القوالب العربية، وإنما أجنبيا وحيدا لا تحيط به عائلة من المشتقات المختلفة نحو «صراط» الكلمة القرآنية التي وإن بدت على صيغة «فعال» فهي ليست سوى صورة نهائية للكلمة اللاتينية ستراتا[47].

ويرى فريق آخر من المحدثين الذين فهموا التعريب فهما غريبا أن الكلمة المعربة يجب أن تكون على أقرب صورة ينطق بها أصحاب الكلمة الأعجمية، فبعد أن كان مفهوم القدماء للتعريب أن تتفوه العرب بالاسم العجمي على منهاجها صار مفهوم هؤلاء المحدثين له أن تتفوه العرب بالاسم الأعجمي على منهاج العجم أي بإخضاع لسانها للكلمة الأعجمية[48].

ونستخلص مما سبق ذكره أنّ التعريب اللفظي هو إخضاع الكلمة الأعجمية لنظام اللغة العربية، وأهم طريقة من طرائق التعريب عند القدماء اللغويين العرب هي الطريقة الصوتية، إذ نلاحظ من خلالها تغييرا لغويا في نظام الكلمة الأعجمية.

الهوامش

(1)- ينظر: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، د. ممدوح خسارة، مجلة المجمع اللغة العربية بدمشق، ص 539- 540.

(2)- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، ص 123.

❖ الدشت: الصحراء.

(3)- المزهر: 275/1.

(4)- ينظر: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص543-544.

(5)- المصدر السابق، 1/275.

(6)- المعرّب، ص 54 و 61.

(7)- المصدر نفسه، ن ص.

❖ فور: بلد بساحل بحر الهند معرّب «بور»

❖❖ قربق: هو الدكان معرّب كوبه، وقيل: البصرة بعينها.

❖❖❖ فِرِنْد :يقال، فِرند السيف جوهره ويقال:برند(PARAND)، وهو فارسي معَرّب وقيل: إنَّه الحرير. ينظر: شفاء الغليل، ص 199.

(8)- كتاب سيبويه 4/ 306، وعنه نقل السيوطي في المزهر، 1/ 274.

(9)- المعرّب، ص 56.

(10)- نفس المصدر ن.ص.

(11)- كتاب سيبويه، 306/4

(12)- ينظر طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص544-545.

(13)- معجم كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق،12/1.

(14)-معجم كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق،12/1.

(15)-المصدر نفسه ص12/1.

(16)-ينظر شفاء الغليل، 27 - 28.

(17)- المعرب،ص 59-60 و الاقتراح، السيوطي، ص 45-46.

(18)-ينظر طريقة القدماء في التعريب اللفظي،ص540

(19)-ينظر: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، د.إبراهيم بن مراد، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ، 1978 ،ص221.

(20)-أثر الدخيل على العربية الفصحى، ص 197

(21)-أثر الدخيل على العربية الفصحى، ص 197.

(22)-نفسه، ص134.

❖ أمين معلوف هو طبيب وعالم في الحيوان والنبات والفلك واللغة. ولد وتوفي في لبنان (1871م1943-م).

(23)- ينظر: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ص25.

(24) - نفسه، ص27.

(25)- الكتاب، 4/ 303 - 304. وينظر: شفاء الغليل، ص 26.

(26)- ينظر: طريقة القدماء في التعريب اللّفظي، 541.

❖ السخت: الشديد، ومنه يقال: حلف سختيت: موثق قوي.

(27)- الخصائص لأبن جنّي، تحقيق محمد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2 ، دت، 1/ 358.

(28)- نفسه، صفحة نفسها.

(29)- الكتاب، 3/ 620.

(30)- المزهر ، 1/ 269 - 270.

(31)- ينظر: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص 547.

(32)- شفاء الغليل، ص 147.

(33)- المعرّب، ص 94.

(34) - أثر الدخيل على العربية الفصحى، ص 154.

(35)- شفاء الغليل، ص 259.

(36)- المعرّب، ص 388.

(37)- شفاء الغليل، ص 31.

(38)- المعرّب، ص 229.

(39)- المصدر نفسه، ص 152.

❖ سورة الحج، الآية: 17.

(40)- المصدر السابق، ص 368.

(41)- المعرب، ص 301.

(42)- ينظر: الكتاب، 4/ 230 وطريقة القدماء في التعريب اللّفظي، ص 549.

(43)- المصدر نفسه، 3/ 234.

(44)- نفسه، 3/ 235.

(45)- الخصائص، 1/ 359.

(46)- الكتاب، 621/3.

(47)- ينظر: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص68.

(48)- ينظر: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص550.